لماذا (حمارتك العرجا)..؟

بسام جميدة، سوريا

عندما همس لي يوما الدكتور جمال الجزيري بأنه سيطلق أسم حمارتك العرجا على الدار التي ستصدر عنها كتب سنا الومضة القصصية، وافقته فورا وسعدت بالفكرة كثيرا، وأفصح لي عن طموحه في أن يرى هذه الدار تكبر وتشتد عودها، وهو الذي عانى ويعاني من موضوع النشر الورقي كما يعاني أي كاتب في الوطن العربي من استغلال دور النشر ومن العبء المادي الثقيل الذي يمكن أن يتكلفه كي ينشر أي كتاب له، ويكون على حساب لقمة عيشه وعيش أولاده.

كانت فكرة، لكنها أضحت واقعا عندما أصدر منها وباسمها ستة كتب في سلسلة كُتَّاب السنا وستّة كتب في سلسلة كتاب الومضات الشهرية الإلكتروني وعدة أعداد من مجلة سنا الومضة القصصية الإلكترونية، وهي في تزايد مستمر، وهذا بحد ذاته يعتبر إنجازاً يسجل له وللدار الحديثة ولمجموعة سنا الومضة القصصية.

لم أستغرب التسمية مطلقا، ففي ثناياها الكثير من العبر التي تخفيها ويمكن أن يستنتجها المهتم بحال النشر في الوطن العربي.

والحمار بتسميته صَاحَبَ الكثير من الشخصيات الأدبية والسياسية عبر التاريخ وحتى وقتنا الحاضر، وقد أورد الكاتب صالح محمد الغفيلي الكثير من أخباره وتسمياته في كتاب (حمار في الأدب)، ولعل أسعدهم حظا هو المرشح الديمقراطي الأمريكي (اندرو جاكسون) الذي كان الناس يعايرونه بجاك الحمار فأستغل هذه (العبارة) نكاية في خصومة ووضع صورة الحمار شعارا في حملته الانتخابية ففاز عام 1838م، وذهب الحمار شعاراً للديمقراطيين دلالة على التواضع والشجاعة والحب، والفيل شعارا للجمهوريين دلالة على الوقار والقوة والذكاء، ثم تأتي جمعية الحمير المصرية كأشهر جمعية أسسها رائد المسرح المصري والعربي زكي طليمات في مصر عام 1932، ومن أشهر أعضائها طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ومشاهير من الأطباء ووجهاء المجتمع والمثقفين وبلغ عدد أعضاءها 30ألف عضو، تعطي شرف عضويتها ابتداء من لقب (حرحود) أى جحش صغير ويترقى في سلم الألقاب حتى يصل للقب (حامل الحدوة)، وقد تكلفت هذه الجمعية تركيب تشغيل أحد الأجهزة الطبية الضخمة في مستشفى بطنطا بمبلغ وصل إلى 126الف جنية، فهي بالمناسبة جمعية خيرية تخدم الناس وتساعد الفقراء واليتامى والأرامل، وقد رفضت الحكومة إعطاءها ترخيص بسبب اسمها غير اللائق (على حد تعبيرهم) وقد قلدتها في ذلك عدة جمعيات عربية.

والحمار هو صديق للسياسيين كما هو صديق الأدباء فقد رأس فرانسوا ميتران جمعية للحمير بعد تركه للرئاسة في فرنسا، ويثبت لنا المؤلف صالح الغفيلي أن الحمار هو حيوان سياسي أيضا وليس اجتماعيا واقتصاديا فحسب، فقد ساهم بأريحية فياضة في الانتفاضة الفلسطينية وقام بنقل كتب طلبة المدارس الفلسطينية على ظهره بعد أن تعذر نقلها مجتازا الحواجز الإسرائيلية بشجاعة، وكلنا يعرف "حمار جحا" ثم يليه في الشهرة "حمار الحكيم" الذي استعاره الأديب "توفيق الحكيم" من كاتب إسباني وألف العديد من الكتب عن حوارات جرت بينه وبين الحمار حتى أسماه النقاد "تلفيق الحكيم" لأنه لفق واستعار الحمار.. ويأتي بعده فى الشهرة "حمار شهاب الدين" الذي حوله الكاتب "أنيس منصور" من "حمار" إلى "حوار".

ويقال للحمارة أم نافع، وأم تولب، وأم جحش، وأم وهب، ومنه نوع يصلح لحمل الأثقال ونوع لين الأعطاف سريع العدو يسبق براذين الخيل.

اقترن الحمار بالنسبة لليونانين بإله الخمرة ديونيسوس، كما قدس الرومان أيضا الحمار، مستعملينه في قداساتهم التطهرية.

لذلك أقول لمن يستغرب التسمية وأوضح إنها جاءت عن قناعة راسخة لتحمل عنا هموم النشر ونقدم من خلالها أنفسنا للوسط الأدبي بطريقة

احترافية آملين في الوقت ذاته أن يتطور العمل أكثر وأن يكون لنا تواجد فعلي على أكثر من صعيد..

حمارتك العرجا ستكون ملتقى للمبدعين وللكلمة الهادفة، وسنمد من خلالها أيادينا لمن يريد أن يقدم نفسه معنا وبيننا، واضعين نصب أعيننا هدفا واحدا وهو الارتقاء بالثقافة بشكل عام وتأسيس لفن الومضة وإتاحة النشر أمام من ليس له القدرة على النشر راجين في ذلك المنفعة العامة ليس إلا.

هي خطوة على طريق الألف ميل، وستعقبها خطوات أخرى إن شاء الله، وستكون حمارتك العرجا رفيقة دربنا في هذا المشوار الطويل.